محاضرة رقم ٧	
الكلية	التربية للعلوم الانسانية
القسم	التاريخ
المادة باللغة العربية	تاريخ الدويلات الاسلامية
المادة باللغة الانجليزية	History of Islamic states
المرحلة	الرابعة
السنة الدراسية	٢٠٢٢-٢٠٢٣م
الفصل الدراسي	الأول
المحاضر	عمر حمد رشيد
العنوان باللغة العربية	الدولة الزيدية (٢٥٠ -٣١٦ هـ)
العنوان باللغة الانجليزية	The Zaidi state (٢٥٠-٣١٦ AH)
المصادر والمراجع	تاريخ الدول المستقلة في المشرق عن الخلافة العباسية د. عطية القوصي .
	موجز في تاريخ دويلات المشرق الاسلامي د. احمد محمد عدوان .
	التاريخ الاسلامي الوجيز د-محمد سهيل طقوش

اتضح لنا مما سبق ان نفوذ الخلافة العباسية في منطقة المشرق الاسلامي اخذ في الانحسار خاصة بعد ان بدأ الضعف والوهن يدب في اوصال الدولة الطاهرية التي اخذت تترنح تحت ضربات الحركة الصفارية والتي حققت مكاسب كبيرة على يد مؤسسها يعقوب بن الليث وبينما كانت المنطقة تئن تحت وطأة هذه الاحداث كانت الدعوة الزيدية تنتشر في منطقة طبرستان على يد خلاياها السرية التي تعمل هناك.

ويبدو ان الدعوة وجدت قبولاً لدى سكان المنطقة لأنهم كانوا يعانون من مشاكل سياسية واخرى اقتصادية ويتمنون الخلاص منها ، وسنجد ان رجال الدعوة الزيدية سوف ينتهزون الفرصة لصالح دعوتهم ، ويحققوا نجاحاً ملموساً لأنهم اختاروا الزمان والمكان المناسبين .

فمنطقة طربستان منطقة جبلية وعرة المسالك متشعبة الطرق يصعب اختراقها ويسهل الدفاع عنها وكذلك الحال بالنسبة لبلاد الديلم، التي ازرت طبرستان في موقفها من الدعوة الزيدية ، بل واصبحت تتحمل مسؤولية كبيرة لحماية رجال الدعوة ومؤازرتهم . كما ان سكان هذه المناطق كانوا يتعاطفون مع الاسرة الزيدية ، ويرون احقيتهم في الخلافة دون الاسرة العباسية ، وقد خضعت منطقة طربستان الى الدولة الطاهرية التي عينت عليها ولاة لم يوفقوا في حكم البلاد ، فها هو سليمان بن طاهر يعين نيابة عنه فيها محمد بن اوس الذي قام بدوره بتقسيم هذه المنطقة بين اولاده ، وكانوا احداثاً تنقصهم التجربة والممارسة ، فأساءوا الى السكان وقهروهم ، و يصور لنا الطبري هذه الحالة بقوله: ((وعامل طبرستان يومئذ سليمان بن عبدالله بن طاهر ، والمتولي على سليمان ،والغالب على امره محمد بن اوس البلخي ، وقد فرق محمد بن اوس ولده في مدن طبرستان ، وجعلهم ولاتها وضم الى كل واحد منهم مدينة منها ، وهم احداث سفهاء ، قد تأذى بهم وبسفههم من تحت ايديهم من الرعية ، واستنكروا منهم ومن والدهم ومن سليمان بن عبدالله سفههم وسيرهم فيهم وغلظ سوء اثرهم فيهم)).

وقد كانت اكثر المناطق الطبرية ضرراً منطقتا كلار وشالوس ، حيث يتولاهما احمد بن محمد الذي عرف بظلمه وجبروته ، فقد كان يجمع الضرائب في السنة الواحدة اكثر من مرة، ولا اريد ان اضيف شيئاً الى نص الطبري ، فهو غني عن الشرح والبيان ، اذ يبين مدى ما كان يتحمله الاهالي من ادارة يتولاها رجال عديمي الخبرة قليلي الممارسة ، فعمت الفوضى البلاد واستشرى الفساد والظلم ، وتذمر الاهالي الذين انقسموا الى قسمين :

قسم باع ارضه ورحل الى مناطق مجاورة في بلاد الديلم للتخلص من هذه الاوضاع القاسية، والقسم الآخر استمر في ارضه مع شعوره بوجوب رفض الامر الواقع ، ومحاولة تغييره الى الأحسن . معنى ذلك ان النفوس قد اصبحت في هذه المنطقة مهيئة للثورة والتمرد ضد ولاة المنطقة ، لكنهم بمفردهم لا يتمكنون من تحقيق مآربهم ، فأخذوا يبحثون لهم عن مؤيدين وحلفاء

يساعدوهم ويشدوا من ازرهم ، فراسلوا الديلم وطلبوا منهم المساعدة ، فأستجاب لهم هؤلاء لآنهم يحقدون على الطاهريين وكذلك على الخلافة في بغداد والسبب هو ان محمد بن اوس هاجم بلادهم رغم انهم كانوا في حالة موادعة ومصالحة، فسبى ونهب وقتل الكثير ، ومما زاد الطين بلة انه في عام ٢٥٠ هـ ثار يحيى الطالبي في منطقة الكوفة ، إلا ان الثورة لم توفق وقتل قائدها على يد محمد بن عبدالله بن طاهر ، فأراد الخليفة المستعين ان يقدم له مكافأة على خدماته فأقطعه اراضي في منطقة كلار و شالوس ، فأرسل محمد بن طاهر بعض مساعديه ، وعلى رأسهم رجل نصراني اسمه جابر بن هارون ، ليضموا هذه الاراضي ولم يكتفوا بما اقطعهم الخليفة ، ولكنهم اضافوا اليها ارضاً مواتاً مجاورة لها ، وإذا علمنا ان اهالي كلار و شالوس كانوا يستفيدون من تلك الاراضي في رعي مواشيهم ، لذلك تصدوا للطاهريين ومنعوهم من اخذ هذه الاراضي.

وهكذا يزداد التوتر بين اهالي هذه المنطقة وبين الطاهريين ، ويصور الطبري هذا الموقف بقوله: ((فلما ايقن القوم بذلك راسلوا جيرانهم من الديلم وذكروهم وفاءهم لهم بالعهد بينهم وبينهم وما ركبهم به محمد بن اوس من الغدر والقتل والسبي وانهم لا يأمنون من ركوبه إياهم بمثل الذي ركبهم به ، ويسألونهم مظاهرتهم عليه وعلى من معه)) .

هذا النص يوضح ان اهالي كلار و شالوس راسلوا الديلم وطلبوا منهم ان يقف الجميع ضد الخطر الذي يهددهم فأستجاب الديلم لطلب الاهالي رغم انهم لم يكونوا وإياهم على دين واحد ، فالديلم ما زالوا على الوثينة _ وإن كان هناك قلة من المسلمين بينهم _ ويستطرد الطبري في حديثة فيورد رد الديلم ((فأجابهم الديلم الى ما سألوهم من ذلك ، وتعاقدوا هم واهل كلار و شالوس على معاونة بعضهم بعضاً على حرب سليمان بن عبدالله بن طاهر وابن اوس وغيرهم ممن قصدهم بحرب)) واضح من النص ان تحالفاً قد بدأ بين الطرفين ، وهذا التحالف كان موجهاً ضد الطاهريين ومن يقف الى جانبهم ، ويبدو ان المقصود هنا هو الخلافة ، ولا يجب ان نستغرب هذا الموقف ، فالعلاقة بين الديلم والخلافة غلب عليها طابع التوتر والعداء ، وعلى

العموم فالتذمر بين الجماهير طبرستان والديلم اخذ يتسع ويزداد مع مرور الايام ، ولكن هذا التذمر يحتاج الى من ينظمه ويخرجه الى حيز التنفيذ . وهنا لابد وأن نشير بأن عيون رجال الدعوة الزيدية كانت ترقب ما يحدث عن كثب ، لأنها كانت متواجدة بين اظهرهم ، تدعو لأسناد زعامة المسلمين الى آل بيت الرسول –صلى الله عليه وسلم– ، وهذا امر تعارضه الخلافة العباسية .

بدأ الاتصال بين الزعامة المحلية في طبرستان (كلار و شالوس) وبين ابناء الاسرة الزيدية ، فلماذا اذن وقع اختيار هذه الزعامة على افراد هذه الاسرة ؟ والاجابة هنا يمكن تلخيصها في الآتي :–

١– إن العداء والمنافسة بين الاسرة الزيدية والعباسية كان قائماً بشكل سافر، لذلك فهناك امكانية الاستفادة من قيادة هذه الاسرة نظراً لخبرتها وممارستها في مثل هذه الظروف .

٢– إن آل البيت كانت لهم في قلوب الأهالي مكانة عالية ، فإذا ما اعلنت الحركة عن هويتها ، فإن المتوقع ان اعداداً كبيرة من المؤيدين والانصار سوف ينضوون تحت رايتهم ، وبذلك تكتسب حركتهم الطابع الشعبي الذي له قاعدة عريضة .

٣– وفي نفس الوقت فإنهم يدركون ان الحركة العلوية لن ترفض هذا العرض او التحالف الذي يضمن لها عمقاً استراتيجياً وزخماً بشرياً هائلاً ضد عدوهم المشترك ، إذا جاز هذا التعبير ، فالحركة في حاجة الى قاعدة شعبية ترتكز عليها ، وفي نفس الوقت فالحركة الشعبية في طبرستان تحتاج الى قيادة لها لتأخذ بيدها وتنقذها من الظلم الواقع عليها . والغريب ان الديلم يوافقون على الانضمام لهذه الحركة الأمر الذي دفع بعض المؤرخين ان يستغرب هذا الموقف قائلاً : ((وصاروا جميعاً –الديلم واهل كلاروشالوس –بما اشتملهم من الجور متفقين على عداوة السلطان واستئصال وطأته..))

اتصلت زعامة الاهالي بشخصية علوية بارزة وهي محمد بن ابراهيم ، وكان يقيم في طبرستان ، وطلبوا منه ان يقود حركتهم ، لكن محمداً هذا اعتذر لهم بلباقة ، واوضح لهم بأن هناك من هو اكثر منهم كفاءة ومقدرة ، ويستطيع ان يقود تحركهم الى بر الامان ، فرحم الله امرءاً عرف قدر نفسه فجلس دونه ، اذ قال لهم: ((هو اقوم بما دعوتموه اليه مني))، فدلهم على الحسن بن زيد– بن محمد بن اسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن ابي طالب – وكان يقيم في مدينة الري، وجرت الاتصالات فأقتنع بقيادة الحركة ، وشد الرحال الى حيث الانصار ، ويصور الطبري الموقف بقوله : ((فوافاهم الحسن بن زيد وقد صارت كلمة الديلم واهل كلار وشالوس واحدة على بيعته وقتال سليمان بن عبدالله)) ويعدد الاطراف التي بايعته ((ابناء رستم– محمد وجعفر– زعيما كلار وشالوس وجماعة اهل الثغور، ورؤساء الديلم ... واهل رديان ...)).

قيام الدولة:

كان وصول الحسن بن زيد الى طبرستان عام ٢٥٠ هـ ومبايعته هناك يعني بداية قيام دولة جديدة لها توجهاتها المعارضة للخلافة ومبادئها ، لذلك فان هذه الدولة الجديدة سوف تواجه العديد من المشاكل ، ومن جهات واطراف متعددة ، يأتي في مقدمتها الطرف الاكثر ضرراً من قيامها واعني به الدولة الطاهرية ، اما الطرف الثاني الذي لم ولن يرضى عن قيام الدولة الزيدية هو الخلافة العباسية ، اما الطرف الثالث الذي سوف يخلق مشاكل وصعوبات في وجه الدولة الجديدة هي الدولة الصفارية الناشئة التي اخذت هي الاخرى في توسيع ممتلكاتها ، ولكل من هذه الاطراف مبرراته في الصدام مع الزيديين كما سنبين الآن .

فمنطقة طبرستان كما هو معروف كانت تابعة للدولة الطاهرية التي عينت عليها محمد بن اوس ، وقد تصدى هذا الوالي للدعوة الزيدية اثناء مرحلتها السرية ، حيث تذكر المصادر ، انه نمى الى علمه بأن شيئاً ما يدور على ارض طبرستان ،وان الامور لا تسير لصالحه ، فبث عيونه في كل مكان ، ولكن دون ان يتمكن من اكتشاف امر الخلايا السرية التابعة للدعوة .

أما في هذه المرحلة وبعد ان اتضحت الامور وعرفت قيادة الدعوة وتنظيمها، فقد حشد محمد بن اوس قواته ليتصدى لها ويمنعها من تحقيق اهدافها ، وكانت بداية الاحتكاكات في شهر رمضان عام ٢٥٠ هـ وكانت النتيجة لصالح الحركة الزيدية، خاصة وقد وصلتها مساعدات من الديلم ، حيث يقول العاملي : ((وجاء الى الداعي مدد من جيلان ...وانضم الى الحسن اربعة آلاف فارس من اصحاب وهوذان الديلمي)) ولكن الهزيمة التي وقعت بقوات محمد بن اوس لم تكن قاتلة ولم تفت في عضد الطاهريين ، حيث تصدى سليمان بن عبدالله بن طاهر صاحب طبرستان ، لكنه هو الآخر لم يوفق وهزم في شهر ذي الحجة من نفس العام . ويذكر ابن الاثير ان سليمان بن طاهر قد انهزم امام الحسن لأنه لم يكن راغباً في قتاله ، لأن الطاهريين في ظن ابن الاثير كانوا يتشيعون ويدلل على ذلك بأبيات من الشعر وردت على لسان سليمان

وفي ظني ان هذا امر بعيد عن الدقة والصواب بدليل ما كان عليه الطاهريون من علاقات ود وتعاون وثقة مع الخلافة العباسية ، ولو كان الطاهريون كما يعتقد ابن الاثير لكانت هذه العلاقات عكسية تماماً .

وخلال العامين التاليين كانت الحرب سجالاً بين الطرفين إلا أن نهايتها كانت تأكيد سيطرة الحسن على منطقة طبرستان وهزيمة الطاهريين الذين تخلوا أيضاً عن منطقة جرجان ، وكان يليها إذاك محمد بن طاهر الذي هزم رغم الاستعدادات التي بذلت والاموال الطائلة التي انفقت.

هذا عن علاقة الزيديين بالدولة الطاهرية التي كانت تدافع عن نفسها وممتلكاتها وهيبتها وكذلك عن هيبة الخلافة في منطقة المشرق الاسلامي .

اما عن موقف الخلافة العباسية ، فأنها لم تقف مكتوفة الايدي امام ما يدور على ارض طبرستان ، ولن تسمح – اذا تمكنت – للزيديين ان يحققوا اهدافهم ويقيموا دولتهم وذلك للأسباب التالية :

١- إن نجاح الحركة الزيدية في اقامة دولة لها يعني تقليص النفوذ السياسي والمذهبي للخلافة العباسية في هذه المنطقة والاطاحة بهيبتها في اقليم تعتبره من الاماكن الحيوية لها .

٢- المعروف ان المشرق الاسلامي كان يشكل بالنسبة للخلافة مصدراً بل مورداً هاماً من موارد دخلها ، فإذا فقدته او فقدت بعضه فإن هذا المورد سوف يتوقف او يتخلخل .

٣- المشرق الاسلامي يعتبر قاعدة اساسية من القواعد التي ارتكزت عليها الخلافة من الناحية البشرية والمعنوية بل و تعتبر عمقاً استراتيجياً لا يستغنى عنه ، فإذا بعثرت هذه المنطقة ومزقت فإن ذلك يؤثر على قوة الخلافة العباسية وقدرتها على التأثير والتعامل مع بقية المناطق .

٤- ان نجاح الحركة الزيدية يدفع بها الى توسيع ممتلكاتها وسوف يكون هذا على حساب الخلافة وممتلكاتها وعلى حساب انصارها ومؤيديها من الطاهريين .

٥- ان نجاح الحركة الزيدية قد يشجع بعض الولاة على التمرد والوقوف في وجه الخلافة .

وللعوامل سالفة الذكر وقفت الخلافة موقفاً حاسماً ضد الدعوة الزيدية وتحركها ، وحاولت ان تضع حداً لها بشكل أو آخر وبمختلف الوسائل .

فالى جانب التشكيك ومحاولات الحط من اقدار الزيديين امام العامة ، لجأت الخلافة الى استخدام القوة على قدر استطاعتها ، ففي عام ٢٥٣ هـ كلف القائد موسى بن بغا من قبل الخلافة بقيادة حملة عسكرية ، وتمكنت هذه الحملة من هزيمة الحسن بن زيد الذي فر الى بلاد الديلم ، وانسحبت قوات الخلافة بسبب عدم الاستقرار في العاصمة ، فأستغل الحسن الفرصة وعاد الى ممتلكاته ، إلا ان الخلافة ارسلت قواتها ثانية في عام ٢٥٥ هـ ، ودخلت في مواجهة مع الزيديين وانصارهم من الديلم، وحققت قوات الخلافة انتصاراً ثانياً ضد الزيديين الذين لجأوا من جديد الى الديلم ، وظلوا هناك بقيادة الحسن الى ان غيرت الظروف ووقعت اضطرابات في عاصمة الخلافة

ادت الى خلع الخليفة المعتز على يد الاتراك وقتله ثم تنصيب الخليفة المهتدي ، وعلى الاثر اضطرت القوات المرابطة في طبرستان الى الانسحاب والتوجه الى العاصمة لتشارك في تهدئة الامور هناك عندها استغل الحسن بن زيد الفرصة وعاد برجاله الى آمل ، ثم دخل الري في عام ٢٥٦ هـ ، وفي السنة التالية استولى على الكرج ثم تقدم الى جرجان . كل هذا والقوات الطاهرية تتقهقر الى الوراء وهكذا نجح الحسن بن زيد في توسيع ممتلكاته ووضع اسس دولته التي استمر على رأسها من ٢٥٠- ٢٧٠ هـ .

تولى بعده اخوه محمد بن زيد . في هذه الفترة كانت المعارك محتدمة بين السامانيين والصفاريين انتهت بهزيمة الصفاريين ، وهنا اخذ محمد بن زيد يتطلع الى توسيع ممتلكاته ، وبسط نفوذه على اراضٍ جديدة في خراسان اعتقاداً منه بأن السامانيين لن يقاوموه نظراً لأن قواتهم اصبحت منهكة وانهم ربما اكتفوا بهزيمة الصفاريين ، هذا بالاضافة الى ان محمد بن زيد ربما سار على مبدأ الهجوم خير وسيلة للدفاع ، حيث بات يظن ان انتصار السامانيين على الصفاريين قد يغريهم الى مد نفوذهم على اراضيه ، ففضل ان يهاجم قبل ان يلتقط السامانيون انفاسهم، ويمكن ان نضيف هنا قضية ربما تكون حركت محمد بن زيد وهي رغبته في نشر مذهبه الشيعي في بلاد جديدة .

ومهما كانت الدوافع ، فإن القوات الزيدية توجهت الى الحدود السامانية ، وهنا بدأت الاتصالات بين الطرفين ، وطلب اسماعيل بن احمد الساماني من محمد بن زيد ان يكتفي بما تحت يده من اراض جديدة وقال له في رسالة بعثها اليه : ((الزم عملك ولا تتجاوز ... ولا تقصد خراسان)) إلا أن محمد لم يستجب لدعوة السلام الموجهة من اسماعيل ، ووقع القتال بين الطرفين ، وكانت القوات السامانية بقيادة محمد بن هارون ، انتهت المعركة بدحر القوات الزيدية وهزيمتها ، وجرح محمد بن زيد وتوفي على اثر جراحه ، فألت ممتلكاته الى الدولة السامانية .